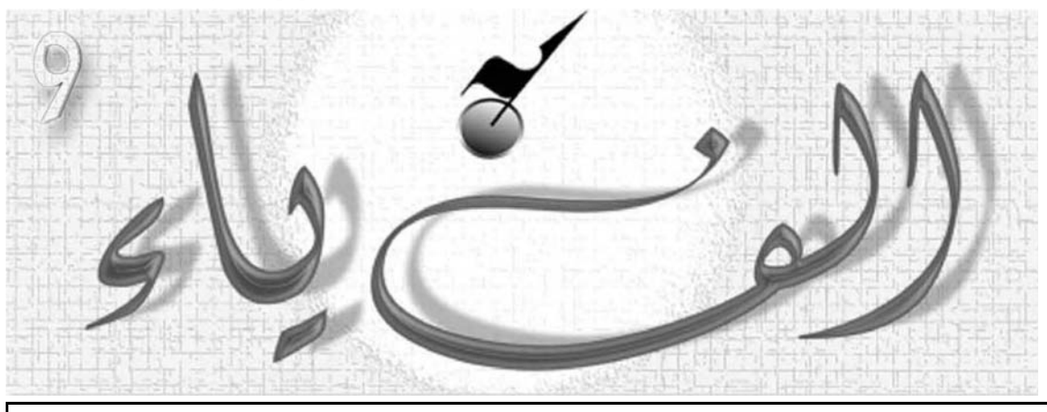

رسالة بغداد

خبراء لتقويم أضرار نصب الحرية

25 آب (اغسطس) شكلت نقابة الفنانين العراقيين مؤخرا لجنة من الخبراء في مجال فن النحت للنظر بالاضرار التي لحقت بنصب الحرية للفنان الراحل جواد سليم طيلة السنوات المنصرمة لإجراء كشف موقعي على النصب وتقديم دراسة مفصلة ودقيقة للنقابة عن تلك الأضرار.

وحضر في موقع الكشف نقيب الفنانين جبار جودي وعضو المجلس المركزي الفنان التشكيلي فاضل وتوت مع اللجنة التي تشكلت من الفنانين طه وهيب، ،نجم القيسي، هيثم حسن وحامد لطيف.

فائز جواد

الطيب صالح : الشعر وحده صاحب الجلالة

لست مفلساً ولكنني وجدت هذا الحوار في دفاتري القديمة

مجيد السامرائي

عمان

في روايته الاخاذة الكبيرة التي طيرت صيته الى الافاق : موسم الهجرة الى الشمال : ذكرمصطفى سعيد، كيف التقى بسوسن إثر محاضرة ألقاها بأكسفورد عن أبي نواس.

في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة تثب نحوي وثباً مخترقة الصفوف، وطوقتني بذراعيها وقبلتني، وقالت باللغة العربية :أنت جميل تجلّ عن الوصف. وأنا أحبك حباً يجلّ عن الوصف. قلت لها بعاطفة أخافتني حدّتها : وأخيراً وجدتك يا سوسن. إنني أبحث عنك في كل مكان، وخفت ألا أجدك أبداً.هل تذكرين؟ قالت بعاطفة لا تقلّ عن عاطفتي حدّة : كيف أنسى دارنا في الكرخ ببغداد على ضفة نهردجلة أيّام المأمون؟ أنا أيضا أقتفيت أثرك عبر القرون؛

الطيب صالح صاحب الرواية التي قرأتها عشر مرات دون كلل (موسم الهجرة الى الشمال) ثم قرأت لسبع مرات رواية الباطر لحنا مينه الذي رحل يوم 21آب عام 2018عن عمر ناهز الرابعة والتسعين .....

كان نصرا مؤثلا لي في مطالع شبابي الصحفي ان التقيه . حلم يقظة متكامل ... هذا هو الطيب صالح يفتح لي باب غرفته ويصافحني بتلك الكف التي دون بها روايته الفاتنة –الفاتحة

مصطفى سعيد (عطيل العربي) المولود في كرما كول السودانية التي معادلها في روايته (قرية الدَبَة).

امامي بعمامة بيضاء ناصعة تلاث على الرأس بإحكام . يضحك لي فتبدو اسنانه بيضاء افضل مما صنع فيما بعد بعقود واشيع عن ابتسامة هوليوود.

قال لي : انت من سامراء عاصمة الخلافة العباسية صح ؟

اظن اننا في جانب الكرخ ... اليوم هو الرابع عشر من آذار 1986

قلت نعم تمام وهذا دجله ، نطل عليه من نافذة غرفتك المرقمة 202 في فندق ميليا المنصور في الصالحية .

راح يردد بصوت فخم :

قُطَرِبُّل مَربِعي ولي بَقْرى الـ كَرخ مَصيفٌ وأُمِّي العِنَبُ

تُرضِعُني دَرّها وَتَلحَفُني بِظِلِّها وَالهَجيرُ يلتَهِبُ

الطيب صالح قرر منذ مدة الا يتحدث عن نفسه ، فهواقل الناس احتفاءا بها . ورغم ذلك فحيث ماحل فثمة من يدعوه ان يكسر هذا القرار القاسي. هو ايضا في بعض حالات اشبه ماتكون بالتجلي يجود بأحسن ماعنده .ولكنه يقول كل مرة : انتم لاتحترمون صمتي ليس لي شهوة للكلام ، لو اكرمتموني قليلا .اقترح ارجاء الحديث الى حين صدور الجزء الثالث من بندر شاه !

هنا ببغداد التقيت الطيب صالح وكان معي صارما ، ثم ودودا ، اكرمته فاعفيته من الحديث عن روايته الزوبعة (موسم الهجرة الى الشمال)التي ماتزال تثير المزيد من الضجة المنيره.

– اعتقد بكل أمانه إن لاجدوى من هذا الحديث. انا قلت كلمتين وخلاص، والناس أحرار في تفسيرها .

□ ولكني اعتقد انك لم تكتب الرواية بهذه العفوية هناك قصدية لامعلنه .

– طبعا انا عمري ماقلت انها عفوية ، بالعكس الرواية فيها الكثير من القصد المتعمد .. انت عارف ياخي ، ان الكتابة خليط من القصد ، والاشياء التي عفو الخاطر . الرواية كانت في فترة تاريخية ، هي فترة مابين الحربين .وهذه الفترة انا ماعشتها في لندن ، كان لابد ان اعرف وقع مناخ تلك الايام .منظر القتل في الرواية هذا يبدو عفويا ، لكني اضطررت ان أقرأ الكثير عن قضايا رجال قتلوا زوجاتهم ، وزوجات قتلن ازواجهن ، ورحت الى المحكمة نفسها .يمكن اخذت منها جملة واحدة وضمنتها لا أدري اين .حقيقة يبدو من العبث لو اني اجري وراء قرائي لافهمهم قصدي من الرواية .كلنا نقرأ الشعر بطريقة مختلفة .ولازال المتنبي وابو العلاء مثار جدل ... وهذه الحقيقة مادامت قد حركت شيئا فانا سعيد بذلك حقا .

□ انت بحاجة الى عمل خارق تتجاوز به موسم الهجرة الى الشمال .

– يضحك –الناس أحرار فيما يظنون ..ضو البيت ومريود عندي اهم من الموسم !

□ ولكن فيها ضبابية متعمدة !

– اظن كده نعم .ولكن الضبابية متعمدة بمعنى ايش؟

الفن اصله مجاز . حتى التأريخ مجاز ..كل شيء عرضة للتفسير وانا لاقدم اية حقائق .ولكن اقدم فنا ، مثلما تنظر انت الى لوحة ليست نقلا عن الطبيعة .ولكن الفنان أعمل خياله فيها .. فالناس ينظرون اليها بطرق مختلفة .

□ هل توقعت ردة الفعل العربية الكبيرة حول الرواية ؟

– لاطبعا .. روايتي ليست بضاعة وانا لم ادرس السوق !

□ ماحجم الحيرة التي سبقت القرار الاخير بالنشر ؟

– لم تكن عندي حيرة في النشر ، فمادمت قد كتبت فلابد ان انشر .

□ ولكن الحيرة جزء من هم الكتابة الذي قلت انه يفترس الحياة !

– نعم ..ولكن الحيرة اثناء الكتابة ، ليست تشابه التي بعدها .

□ في لقاء عابر بينا نفيت صفة الجلالة عن الصحافة ، هل ترى في الرواية جلالا ما ؟

– لاهذه لها جلالة ولا تلك لها جلالة الله اعلم من قال هذه المفردة.

□ ربما جاءت من فرنسا !

– ربما ربما .. الفرنسيون (يضحك) مغرمون بهذه التقليعات .. الشعر وحده صاحب الجلالة ، لان فيه الموسيقى التي هي ارقى الفنون .. شيء عظيم ان يكون الانسان المتنبي ذاته او المعري.. الناس ممكن تقعد تكتب الاف الصفحات ، وغيرهم كتب بيتا واحدا فملأ الدنيا وشغل الناس ..

(هنا كان الطيب صالح في حالة إسترخاء عظيم وكانت كلماته تسقط كسولة وهو ينشدني):

عوى، في سواد الليل، عاف لعله
يجاب، وأني، والديار عوافي؟
وليس، إذا الحساد كانت عيونهم
شواف ، للداء الدفين شوافي

□ اذن كيف نضع الرواية بين الصحافة والشعر ؟

– انا لااقلل من اهمية ..فقد اصبحت شكلا مهما جدا .وهي مرتبطة بمشاكل هذا العصر ..القصيدة لاتقدر على طرح القضايا على (كانفاس) واسع .. لكن القصيدة تركز الاشياء، في شعلة من الضوء تظل تتدحرج طوال التاريخ وتلم حولها اضواءا كثيرة .. المتنبي عمل كده ولا لاء ؟ لااعتقد ان روايات قليلة تفعل ذلك!

□ انت فيما ارى تعاني مايعانيه الشاعر وقد وضعت (موسم الهجرة) بعد ولادة متعسرة !

– شوف .. الرواية اخذت مني اربع سنين . الكتابة بحد ذاتها أخذت شهرين او ستة اسابيع .تركتها مايقرب من اربع سنوات وكتبت الباقي في حوالي شهر .فما أدري هل تسمي هذا ولادة متعسرة ؟! أو إن الدنيا شغلتني ؟

□ لكنك تكره الكتابة لانها تفترس الحياة!

– الكتابة تستدعي التفكير طبعا ، نحن نفترض إن الفكر والشعر هما الباقيان ..نحمد الله ان المتنبي ومن ثم المعري وابو تمام قد وضعوا كل هذا الشعر العظيم (يضحك) بالمناسبة ان اتكلم هنا كفرد عادي ، لما اقول ان الفن يفترس الحياة ، واقول ايضا : إنه لابد من التضحية ودفع الثمن . وانا لااريد ان ادفع الثمن . المتنبي كان ناذارا نفسه للشعر وهذا قدره طبعا ..شكسبير يقول لك : المسرحية هي القصد لأن فيها يكمن ضمير الملك . القصيدة إذن هي الاهم عند المتنبي رغم زعمه بتولي سلطة ما ... شوف .. انا اعتقد ان هناك ثلاثة في الشعر العربي في تقديري المتواضع – وهم يكادون ان يشكلوا اضلاعا لهرم واحد.. المتنبي يليه –الله اعلم ابو العلاء ثم أبو نواس ، بعدين ابو تمام مش هين . البحتري قصائده في الغزل جميلة ولكن مطالعه في المدح من اتفه مايمكن !

□ لكن تعلقك بالمتنبي فيما يبدو تعلق قديم .

– لاوالله الحكاية بدأت حديثا .. أنا في تقديري ان المتنبي يقرأ بعد الاربعين ، والانسان لايفهم شعره الا بعد الاربعين ..لأنه فيه كمية من التجارب اي شاب دون هذا السن ينفر من إدعاءاته .ومدحه لنفسه . ولعله الشاعر الوحيد الذي تقبل ادعاؤته ومدحه لنفسه . ولكن بعد الاربعين . وهذا شيء من أغرب مايمكن !

□ متى يصح اذن ان يكتب الانسان الشعر ؟

– يضحك –لاأدري .. انا اعرف بالنسبة لي متى أقرأ الشعر ؟ من من الشعراء أعجبوني وانا دون العشرين وفوق الثلاثين لكن المتنبي اعجبني بعد الثلاثين !

□ ومتى يصح ان يقرأ الانسان المعري ؟

– يضحك بعنف – ربما بعد الخمسين .. لان الانكليز يسمون هذه المرحلة بأنها (الابتعاد عن الحياة والنظر اليها بحياد) هذا مايحدث لبني آدم –ان حدث ، فكلما بردت نار الشباب عندها تلقى ابا العلاء اكثر تأثيرا على النفس !

□ متى يمكن للانسان ان يكتب قصة ؟

– شهوة الكتابة تكون اكثر في فترة الشباب –لسوء الحظ (يضحك) عادة الناس يكتبون بعد الاربعين .

□ متى كتبت موسم الهجرة الى الشمال؟

– في اوائل الثلاثينات من عمري.كانت الثقة بالنفس كبيرة . يقولون ياسيدي إن فترة العطاء هي مابين الخامسة والثلاثين وربما الخامسة والخمسين .هي فترة العطاء . لكن كاتبا انكليزيا بدأ يكتب وهو بعد الاربعين ، وهو الان كاتب عظيم اسمه (انكيس ويلسون). وبرناردشو ظل يكتب المسرحية وليس الرواية حتى الثمانين . ولكن الكتابة تحتاج الى طاقة جسمية ، مثل الجري والسباحة . والكتابة مؤلمة ومهلكة .

□ ومتى سن اليأس الابداعي كما ترى ؟

– يضحك –مافي يأس ياأخي .. بيكاسو مات بعد التسعين ، كان قويا ونشيطا وفحلا .. ولكن في كل المهن ، الناس تأتيها فترة وتتقاعد .. وعلى العكس الكاتب يمكن ان يكتب الى ما شاء الله .. الا اذا قعد أو حصلت له حاجة !

□ الصمت اليس تقاعدا او تقاعسا ؟!

– الصمت موت وليس تقاعدا !!

□ وصمتك انت ؟!

– لا انا مش صامت الى الابد .. صمتي مؤقت ، ولكن يا أخي انا رجل قلت كلمتين وخلاص لايحق ان يثار حولي كل هذا . صدقني هذا ليس تواضعا !

□ انت في غاية التواضع والمتنبي في غاية الغرور ، كيف تلاقيتما اذن ؟!

– يضحك –لعلي لست متواضعا ، ولعل المتنبي ليس مغرورا !

□ بعد خامس (عشرة) مع بغداد كيف وجدتها ؟

– أنا ماعاشرت بغداد .. يمكن انا عاشرت لندن او الدوحه ، لكن بغداد من المدن التي تريحني .المدن مثل النساء او القصائد تحس معها براحة ايضا حين تتعامل معها ذاتية . بغداد لطيفة .. شوف المدينة لما يكون فيها نهر وشجر وتسمع فيها اصوات الاذان عند الفجر –هنا المؤذنون اصواتهم شجية ومثيرة جدا – بالاضافة الى إني كسوداني – النخل بالنسبة لي مثير جدا – ممكن ترى رؤوس النخل تلعب بها الريح ، وطبيعة الارض كل هذا يجعلها الفة ...

الطيب صالح

الوطن والعاشق المغترب في تجربة أديب كمال الدين

تجربة مفعّمة بأقمار الطفولة

أشرف قاسم

القاهرة

تعتبر تجربة الشاعر العراقي الكبير أديب كمال الدين من التجارب الشعرية المهمة التي توقف لديها النقاد طويلًا بالنقد والتحليل .

أديب كمال الدين الشاعر العراقي المغترب الذي يعيش في أستراليا منذ سنوات طويلة وأحد أهم شعراء السبعينيات في العراق والوطن العربي .

صدرت له مؤخرًا أعماله الكاملة في طبعة أنيقة عن منشورات ضفاف .

سنتوقف خلال هذه السطور مع المجلد الثالث من هذه الأعمال والذي احتوى ثلاث مجموعات شعرية هي " شجرة الحروف ،أربعون قصيدة عن الحرف ، أقول الحرف وأعني أصابعي " .

وكما هو واضح من عناوين المجموعات الثلاث فإن أديب كمال الدين شاعر مسكون بالحرف ، لديه عشق كبير للتشكيل بكل أنساقه وجمالياته المعرفية من خلال هذا الحرف الذي يعيد الشاعر من خلاله رسم الواقع واستكناه الوجود وطرح العديد من تساؤلات الذات المغتربة عن الوطن الجريح ، هذا الوطن الذي شهد أجمل ذكريات الشاعر ، والذي يعيش في وجدانه وهو في غربته بعيدًا عنه :

تعبت بغدادُ من ثياب الدم
تعبت وبكت
وحين طلبت جرعة ماء
أعطوها قنبلةً للموت وسيفًا للذبح
ص 37

هذه الصورة الحزينة لبغداد هي الجرح الذي يسكن قلب الشاعر ليل نهار ، تلك الصورة البشعة لمهد النور والحضارة والتي صارت نهبًا للغزو والخيانة والغدر والدسائس لا تبرح قلب الشاعر فينزف دمًا على هذا الوطن الذي صار نهبًا لكل طامع .

بغداد
دماؤك سالت في الشارع للرائح والغادي
كيف سيوقفها الفقراءُ العُزل
بأي حروفٍ ودواءٍ وتعاويذ ؟
كيف ؟
وبغدادُ هاجمها كلُّ ذئابِ الكون ؟
ص39

تؤكد نصوص أديب كمال الدين أنه شاعر قد نذر عمره وأوقف شعره على مأساة وطنه ، فجاءت نصوصه أصداءً لأنين هذا الوطن المكلوم ، الذي أضاءت شمسه العالم ذات يوم ، وكانت حضارته أقدم حضارة عرفها التاريخ ، وتختلط بأصداء أنين الوطن أصداءُ أنين قلبه المغترب ، المحترق بنيران الغربة والمنفى :

أيها الحرف
سيحاربك القرصانُ الأحمر
القرصانُ الذي قوّض العرشَ
وسلمه للرعاع
لأن في قلبك موجة لأقمار الطفولة
ص131

إنها إحدى صور الرفض التام للاستبداد والطغيان والإذعان لجبروت المحتل الذي احتل الوطن بكل ما يحتوي من تراث وتاريخ .. وذكريات مازالت تسكن في قلب الشاعر " موجة لأقمار الطفولة " .

ولعل هذه الصور الموجعة التي يلتقطها أديب كمال الدين للوطن وهو في غربته هي وثائق مهمة ورسائل إلى العالم الذي يقف متفرجًا على ضياع العراق بتاريخه وحضارته وثرواته ، وهي أدلة إدانة لكل الخونة والمتخاذلين الذين تركوا هذا الوطن يضيع أمام أعينهم ، دون أن تمتد يدٌ لتنتشله من مأساته ، فقط ينظر إليه الجميع وهو ذبيح بعيون دامعة :

في أعماقي
طائر أبيض
يسقط مذبوحًا في أعماق المسرح
وفي أعماق المسرح
صراخ وأنين وثياب ممزقة
وفي أعماق الثياب الممزقة حلم
وفي أعماق الحلم نهر
وفي أعماق النهر صبي
وفي أعماق الصبي قلب
وفي أعماق القلب قصيدة
وفي أعماق القصيدة حرف
وفي أعماق الحرف نقطة
وفي أعماق النقطة متصوف
وفي أعماق المتصوف إله
إله ينظر إلى طائري المذبوح بعينين دامعتين ص170

تمثل الرؤية الصوفية لجوهر الأشياء مرتكزًا هامًا ودالًا من مرتكزات تجربة أديب كمال الدين ، إذ أنه يستبطن من خلال تلك الرؤية علاقة الروح بالجسد ، وعلاقة كل منهما بالواقع الصادم الذي ينضح على الروح بغربته وينضح على الجسد بقسوته ، مما يضيف أبعادًا معرفية أخرى إلى النص الشعري ، هذا بجانب توظيف التناص بأبعاده الدلالية ، كتوظيف قصة نوح والطوفان لتعرية حال الوطن الذي اكتسحه طوفانُ الضياع والاحتلال والخيانة ، ولا يجد المرءُ فيه طوقًا للنجاة ولا جبلًا يعصمه من الماء :

حتّى إذا غيّبَ الموتُ نوحًا،
تحرّكَ المركبُ
تحرّكَ بي وحدي
لأواجه طوفانَ عمري
في موجٍ كالجبال،
أنا الذيَ لا أعرفُ الملاحةَ والسباحةَ
وليسَ لديَّ حمامة أو غُراب ص24

كما تتضح قدرة أديب كمال الدين على تشكيل الصورة الشعرية التي تشبه " البازل " ، حيث يعيد الشاعر جمع شتات تلك المفردات بحرفية عالية ، مهتمًا بدقائق التفاصيل لاكتمال رسم المشهد البصري الدرامي ، دون الإخلال بروح النص الشعري ، ودون ترك النص للاكتناز أو الترهل أو التداعي المجاني :

لم يكن هناك الكثير
من الأشياء على المائدة
كان هناك تفاح الشهوة
وشاي السم المنقوع بالعسل
وقطعة خبز كبيرة سوداء
وسيكارة أنفث دخانها ببطء
طوال حياتي
وأنا أتلقى الأخبار السيئة
الواحد تلو الآخر ص 312

تلك إطلالة سريعة على عمل شعري مهم لشاعر ذي تجربة استثنائية ، يستحق من نقادنا العناية والتقدير ، وآمل أن أكون قد استطعتُ أن أرصد بعض ملامح تلك التجربة .

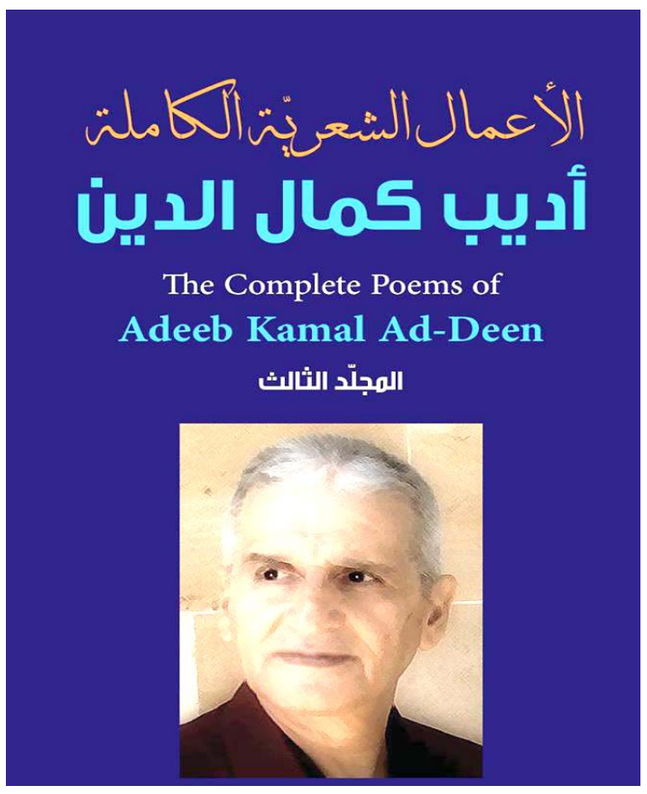

غلاف الكتاب